

علي في الوجدان الشعبي السوداني

انتشر حب آل البيت في الأوساط الأفريقية منذ ظهور الإسلام فيها ، وزاده الحكم الفاطمي الذي امتد الى أمكنة واسعة من إفريقيا والمغرب العربي صلابة وقوة ما يزال أثرها حتى الوقت الحاضر ، وبالإضافة الى ذلك فقد عاشت وما برحت حتى الآن طرق صوفية متعددة ، وعامة أهل التصوف ينظرون الى علي وأهل بيته (ع) نظرة خاصة من التقديس والولاء بل تنتهي طرقهم كلها بعلي من خلال سلسلة معروفة من المراسم التي وضعها الصوفيون عبر قرون متعددة من تاريخهم الطويل .

وعرف السودان ألوان من أدب التصوف الإسلامي لاسيما قبل ظهور الثورة المهدية فقد انتشرت الطرق الصوفية في جميع أنحاء السودان ، وشاعت فنون المدايح النبوية الشعبية والمدايح التي كانت تمجد آل البيت ومن ينتسب اليهم من مشايخ الطرق ، وهؤلاء المشايخ أنفسهم قصائد يسمونها «لسان الحضرة» وفي اصطلاح الصوفية يسمونها (بالشطحات) وهم فيها يمجدون أنفسهم ويذكرون الهبات التي أكرمهم الله بها ، ولهذه القصائد ألحان راقصة توقع على حركات الذكر ، كما رافقت بعض آلات الطرب مثل (الطار) والطلبل والصنج والرق .

وكان شعراء المدايح الشعبية من المتصوفين ينظمون قصائدهم باللغة العامية وقليل من مشايخ الطرق الصوفية من كان ينظم مدائحه باللغة العربية الفصحى ، ولكل قبيلة من قبائل السودان لغتها ولهجاتها الخاصة ، ففي شمال السودان تكاد تكون اللغة العامية متحدة إذا تجاوزنا بعض القبائل ، وفي شرقه تتحد اللغة وهي البجاوية ، وفي الغرب تكاد تكون متقاربة ما عدا بعض قبائل دارفور وجبال النوبة ولكثير ما تختلف اللهجات في الجنوب ، وهذه شواهد من الشعر الشعبي السوداني في الإمام علي (ع) ، فمنه قول محمد الحاج العاقب (١٧٠٤ - ١٧٧٩م) :

يا جليل	البتول	أم	الحسين	وحسن
محتسب	الجميع	فيكم	بدور	عشمان

وقول حاج الماحي (١٧٩٤ - ١٨٦٩م) :

(الكرار علي) الما بيلفا	قَزْ في الريشة حالف حَلْفا
الطير في ولاذ الغُلْفه	إلّا من الكبود يتكفا
اسمع ياخوي قول ابن طالب	رابع الخلافة الكان امره غالب
تابع نبيه دائماً مراقب	بالنسبه ليه وذعم أقارب
قلبو بيريد وحابو وييه عاجب	فارس المشارق والمغرب
حين شد قارحو في ايد وضارب	على شال محارب لينحو تو كارب

قَبْل (مُخَارِق) فَزْ مِنْو هَارِبْ كَمْ جَابْ عَزِيزاً بِي حِيلْتُو سَارِبْ
قتلو وعقا بو خلاه سارب

انصتو قولي يامسلمينا بردف كلامو الكرار علينا
باب المدينة اليعجب نبينا ابو الحسين فارس حنينا
اسد الكمين الكر في اليمين شاييل السنينا للروس يهينا
الكافرين دقق طحيننا كَمْ جَابْ لَعِيناً مَقْبُوضْ مَهِينَا
الروم تهاها وطشش جنينا دمر بناهم طول السنيننا
وقال المرحوم احمد ود سعد (١٨٣٠ - ١٩١٩ م) :

هاك	يا	مادحو	عَن	فوق	ابي	الحسن
فوق	ابو	الحسين	فوق	ابو	الحسين	
ذو	القرض	الحسن	سيدي	ابي	الحسن	
قوي	النسب	الحسن	سيدي	ابو	الحسن	
قلب	ابو	الحسن	ما	غاب	في	الوسن
شدو	لُو	وركب	خيلو	عَر	كسن	
شامل	السنين	مابدور	لوسن			
السن	الأعدا	منو	كسكن			
خافن	منه	قلو	سوسن	بُم		
لي	خير	فتح	الوثن			
جأبن	بالشعب	جأبن	بالرسن			

وله أيضاً :

ياسادة	السبطين	الحسن	والحسن
يا	بدور	يا	الاتقيا
يا	هذين	يازين	العابدين
ياستي	(فاطمة)	يا بضعة	الامين
ياستي	(زينب)	يا	نضرة
		المسكين	

وأمل ان تعطينا هذه النماذج التي قدمها الباحث السوداني الاخ قرشي محمد حسن ، صورة عما ذكرناه وحسب كلمتنا القصيرة هذه دافعاً لمن اراد التوسع في هذا الموضوع الذي كتب عنه الكثير في الآداب الشعبية العربية والعالمية .